Arastırmaları Merkezi

سياسة النفوس

تأليف

سنان بن ثابت بن قرة الحراني ٣٣١ هـ

Is
Dc
Ta

تحقيق وتعليق

د. عبد الفتاح أحمد الفاوي

كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

الطبعة الأولى ١٩٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه أجمعين ..

وبعد ..

فقد عنى القرآن الكريم بأمر الإنسان وخصه بحديث طويل ومفصل فى كثير من آياته بل إن القرآن الكريم كله من أجل الإنسان نزل فكل آية من آياته اما تعلق من ناحية أو أخرى بالإنسان .

وإذا كانت الموضوعات الرئيسية الكبرى فى الفلسفة وفى القرآن أيضا هى الله والعالم والإنسان فإن الألوهية ما عرضت فى القرآن إلا من الجانب الذى يتعلق بالإنسان وما عرض أيضا من آيات عن العالم والكون فى القرآن عرضت من الجانب الذى يهم الانسان كالنظر للتأمل والاعتبار أو الإشارة الى مفردات منه تفيد الانسان .

والإنسان جسد وروح وقد جاءت آيات القرآن متناولة كلا جانبيه وإن خصت جانب الروح منه باهتمام أكثر لأنه أفضل عنصريه .

والنفس من عالم الروح أو من عالم الأمر وردت فى القرآن فى أكثر من مائتى موضع مفردة ومجموعة مطلقة ومقيدة .

ويذكر العلماء أن القرآن تحدث أو قسم النفوس إلى ثلاثة أقسام :

نفس أمارة : وهى ما أشار إليها القرآن فى قوله تعالى : « وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء »[1] وسواء أكانت

---

(١) يوسف : ٥٣ .

هذه المقولة على لسان يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز فإنها تفيد أن فى النفس جانب شر مظلم وهو جانب الفجور المذكور فى قوله تعالى : « فألهمها فجورها »[٢] وهو الجانب الذى تصدر عنه عيوب البشرية ونقائصها من الكذب والبخل والقتل والكفر « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى »[٣] .

وهو الجانب الذى سول لأحد ابنى آدم أن يقتل أخاه ولامرأة العزيز أن تراود فتاها . وهو الجانب الذى من أجله بعث الله الرسل والأنبياء ليعينوا الناس عليه ويقوموه فيهم بما جاءوا به من مناهج وشرائع وهو مسكن إبليس وأعوانه من البشر فيما أشار إليه القرآن « من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس »[٤] ومحل غوايته « ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام »[٥] .

وهو جانب تحدثت عنه آيات عديدة من القرآن أشارت فى ثناها إلى بعض عيوب الانسان مثل : « إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا إلا المصلين »[٦] ومثل « ومن يوق شح نفسه »[٧] .

ونفس لوامة : وهى النفس التى ذكرها القرآن فى قوله تعالى : « فلا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة »[٨] .

تلوم صاحبها عند كل مخالفة وتحدث عنده الندم وتدعوه إلى

---

(٢) الشمس : ٨ .
(٣) الليل : ٨ ، ٩ .
(٤) الناس : ٤ — ٧ .
(٥) النساء ١١٩ .
(٦) المعارج ١٩ .
(٧) الحشر : ٩ .
(٨) القيامة : ١ ، ٢ .

التوبة والاستغفار . وهى النفس التى بها ندم آدم وحواء بعد أكلهما من الشجرة « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا »[٩] .

وقدما التوبة : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه »[١٠] .

هى التى تفعل الخطأ لا عن عمد وترتكب المخالفة أو المعصية لا عن إصرار « فنسى ولم نجد له عزما »[١١] .

وإذا كانت النفس الأمارة هى التى دفعت أحد ابنى آدم أن يقتل أخاه « قال لأقتلنك »[١٢] فإن النفس اللوامة هى التى أحدثت عنده التوبة والندم بعد ذلك حين قال : « يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سواة أخى فأصبح من النادمين »[١٣] وهى التى جعلت الأرض تضيق بالثلاثة الذين خلفوا « حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت »[١٤] .

وهى التى دعت يوسف عليه السلام أن يقول : « رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين »[١٥] .

ودعت نوح أن يقول : « قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين »[١٦] .

إلى غير ذلك من الإشارات التى جاءت عنها فى القرآن الكريم .

---

(٩) الأعراف : ٢٣ .
(١٠) البقرة : ٣٧ .
(١١) طه : ١١٥ .
(١٢) المائدة : ٢٧ .
(١٣) المائدة : ٣١ .
(١٤) التوبة : ١١١ .
(١٥) يوسف : ٣٣ .
(١٦) هود : ٤٧ .

ونفس مطمئنة جاءت فى قوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فأدخلى فى عبادى وادخلى جنتى »[١٧] .

والمشار اليها فى قوله تعالى : « فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى »[١٨] . وهى الملهمة للتقوى كما جاء : « فألهمها فجورها وتقواها »[١٩] والمزكاة « قد أفلح من زكاها »[٢٠] وهى الموعودة بالجنة « والسابقون السابقون ، أولئك المقربون فى جنات النعيم »[٢١] .

وحديث القرآن عن النفس أوسع من هذا التعميم وأشمل . وهو حديث يجمع بين الاشارة الى أنواعها وأهم صفاتها وسبل علاجها وطريق سعادتها . يهتم بالجانب العملى الخلقى أكثر من اهتمامه بالجانب النظرى .

وهو فى ذلك على العكس من حديث الفلسفة التى تهتم بالبحث عن أصل النفس وطبيعتها وجوهرها وتناسخها ومعرفتها وغير ذلك من المباحث النظرية فيها .

وكما أن النفس من الموضوعات الرئيسية فى القرآن الكريم فهى كذلك من الموضوعات الرئيسية فى الفلسفة تناولها الفلاسفة من أقدم العصور وتحدث عنها أرسطو وأفلاطون وكانت محور فلسفة سقراط من قبلهما عندما قرأ على جدران معبد دلف « اعرف نفسك » .

ويختلف موقف القرآن عن موقف الفلسفة من النفس حيث أن الفلسفة أدرجت البحث عن النفس تحت القسم الطبيعى منها فبحثت

(١٧) الفجر : ٣٠ .
(١٨) الليل : ٥ — ٧ .
(١٩) الشمس : ٨ .
(٢٠) الشمس : ٩ .
(٢١) الواقعة : ١٠ — ١٢ .

النفس فى الطبيعيات مع المعادن والآثار العلوية والنبات والحيوان .

بينما يسمو بها القرآن عن عالم الطبيعة ويضعها فى عالم ما وراء الطبيعة عندما يسميها روحا ويقول فيها : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى »[٢٢] .

وإن كان ابن سينا من فلاسفة المسلمين . قد أشار الى ذلك أو تردد فى وضع النفس عندما يقول بجوهريتها وروحانيتها وخلودها لأن هذه المسائل من صميم الميتافيزيقا .

وأيا ما يكن فوضع النفس بمعزل عن الفلسفة الفيزيقية يعطى للانسان قدره ومكانته وهو أعون على معرفة أصله والغاية من وجوده ورجوعه الى ربه فالقرآن الكريم اهتم بالوجود الانسانى وكرم نوع الانسان وفضله على كثير من الخلوقات قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »[٢٣] .

بل اعتبر القرآن الكريم الانسان نفسه خليفة لله : « واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة »[٢٤] .

هذا ولمعرفة النفس أهمية كبيرة فمعرفتها تؤدى الى معرفة البارى عز وجل فهى صراط الله الذى يفضى بسالكه الى الله تعالى . قال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[٢٥] ولذلك لم يكتف القرآن بحث الانسان على التفكير فى الكون وما به من ابداع ونظام فحسب بل حث الانسان أيضا على التفكير فى نفسه وما أبدع الله فيها من قوى مختلفة وأعضاء متعددة يقول تعالى :

(٢٢) الاسراء : ٨٥ .
(٢٣) الاسراء : ٧١ .
(٢٤) البقرة : ٣٠ .
(٢٥) فصلت : ٥٣ .